

مقططفات من كتاب الجواب الكافي

في الحديث عن الدعاء

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : يَكْفِي مِنَ الدُّعَاءِ مَعَ الْبِرِّ ، مَا يَكْفِي الطَّعَامَ مِنَ الْمِلْحِ .

كما روى الحاكم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السماوات والأرض .

وَذَكَرَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنِ الرُّهْبَرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُلْحِينَ فِي الدُّعَاءِ .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهُ : لَا يَرَاكُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِيمَانٍ أَوْ قَطْعِيَّةِ رَحْمٍ ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْتَعْجَالُ ؟ قَالَ يَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ ، وَقَدْ دَعَوْتُ ، فَلَمْ أَرُ يُسْتَجَابُ لِي ، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ .

[ص: ١٢] وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يَرَاكُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْتَعْجِلُ ؟ قَالَ : يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي .

وَإِذَا جَمَعَ مَعَ الدُّعَاءِ حُضُورَ الْقَلْبِ وَجَمِيعَتِهِ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى الْمَطْلُوبِ ، وَصَادَفَ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ السَّتَّةِ ، وَهِيَ :

الثُّلُثُ الْآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ ، وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ ، وَأَدْبَارُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ ، وَعِنْدَ صُعودِ الْإِمَامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ حَتَّى تُقْضَى الصَّلَاةُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَآخِرُ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ .

وَصَادَفَ خُشُوعًا فِي الْقَلْبِ ، وَأَنْكِسَارًا بَيْنَ يَدَيِّ الرَّبِّ ، وَذَلِلَ لَهُ ، وَتَضَرَّعًا ، وَرِقَّةً .

وَاسْتَبْلَ الدَّاعِي الْقِبْلَةَ .

وَكَانَ عَلَى طَهَارَةٍ .

وَرَفَعَ يَدِيهِ إِلَى اللَّهِ .

وَبَدَا بِحَمْدِ اللَّهِ وَالشَّاءِ عَلَيْهِ .

ثُمَّ شَتَّى بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

ثُمَّ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَاجَتِهِ التَّوْبَةَ وَالاسْتِغْفارَ .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى اللَّهِ ، وَأَلْحَنَ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ ، وَتَمَلَّقَهُ وَدَعَاهُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً .

وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوْحِيدِهِ .

فَمِنْهَا مَا فِي السُّنْنِ (وَفِي) صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرِيَّةَ عَنْ أَيِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : الَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهُدُ أَنِّي أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ، فَقَالَ : لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِالاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَفِي لَفْظٍ : لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ .

[ص: ١٣] وَفِي السُّنْنِ وَصَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ : الَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ الْحَمْدُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ . فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ دَعَاهُ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى . أَخْرَجَ الْحَدِيثَيْنِ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ .

وَفِي جَامِعِ التَّرْمِذِيِّ ، مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بْنُتِ يَرِيدَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْأَيَتَيْنِ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ [سُورَةُ الْبَقَرَةَ : ١٦٣] .

وَفَاتِحةُ آلِ عِمْرَانَ الْمُكَفَّرُونَ أَنَّهُ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، قَالَ التَّرْمِذِيُّ : هَذَا حَدِيثُ حَسَنٍ صَحِيحٌ .

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَصَحِيحِ الْحَاكِمِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَرَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : أَلْظُوا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ - يَعْنِي : تَعَلَّقُوا بِهَا وَأَنْزِمُوا وَدَأْمُوا عَلَيْهَا .

وَفِي جَامِعِ التَّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا أَهْمَمَهُ الْأَمْرُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ ، قَالَ : يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ .

وَفِيهِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا حَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ : يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغْفِثُ .

وَفِي جَامِعِ التَّرْمِذِيِّ وَصَاحِحِ الْحَاكِمِ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصِ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : دُعَوَةُ ذِي النُّونِ ، إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ " لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ [سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ : ٨٧] إِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ . قَالَ التَّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ صَحِيحٌ .

وَفِي صَحِيحِهِ أَيْضًا عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يَقُولُ : هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ ؟ دُعَاءُ يُونُسَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ كَانَ لِيُونُسَ خَاصَّةً ؟ فَقَالَ أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ : فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْفَمِ وَكَذَلِكَ نُشْحِي الْمُؤْمِنِينَ [سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ : ٨٨] فَأَيُّمَا مُسْلِمٌ دَعَا بِهَا فِي مَرَضِهِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً فَمَا تَفَاهَ ذَلِكَ أُعْطِيَ أَجْرًا شَهِيدٍ ، وَإِنْ بَرِئَ بَرِئًا مَغْفُورًا لَهُ .

وَفِي مَسْنَدِهِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هُمْ وَلَا حُزْنٌ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَبْنِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمِّيَتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ عَلَمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ اسْتَأْتَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَبْيِ ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجَلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَعْلَمُهَا ؟ قَالَ : بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا .

الفرق بين حسن الظن والغرور

قِيلَ : الْمُرُّ هَكَذَا ، وَاللَّهُ فَوْقَ ذَلِكَ وَأَكْرَمُ وَأَحْلَلُ وَأَحْوَدُ وَأَرْحَمُ ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يَضَعُ ذَلِكَ فِي مَحْلِهِ الْلَايْقَ بِهِ ، فَإِنَّمَا سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ بِالْحِكْمَةِ ، وَالْعِزَّةِ وَالْإِتِقَامِ ، وَشِدَّةِ الْبَطْشِ ، وَعَقُوبَةِ مَنْ يَسْتَحِقُ الْعُقوَبَةَ ، فَلَوْ كَانَ مَعْوَلُ حُسْنِ الظَّنِّ عَلَى مُحَرَّدٍ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ لَا شُتُّرَكَ فِي ذَلِكَ اُبْرُ وَالْهَاجِرُ ، وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ ، وَوَلِيهُ وَعْلُوهُ ، فَمَا يَنْفَعُ الْمُجْرِمُ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ وَقَدْ بَاءَ بِسُخْطِهِ وَغَضْبِهِ ، وَتَعَرَّضَ لِلْعُنْتِيَّةِ ، وَوَقَعَ فِي مَحَارِمِهِ ، وَأَتَهَكَ حُرُمَاتِهِ ، بَلْ حُسْنُ الظَّنِّ يَنْفَعُ مَنْ تَابَ وَتَنَاهَمَ وَأَفْلَعَ ، وَبَدَّلَ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ ، وَاسْتَغْبَلَ بَقِيَّةَ عُمُرِهِ بِالْحِيْرِ وَالطَّاعَةِ ، ثُمَّ أَحْسَنَ الظَّنَّ ، فَهَذَا هُوَ حُسْنُ ظَنٍّ ، وَالْأَوَّلُ غُرُورٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

الفهم الفاسد

وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَرُ بِهِمْ فَاسِدٌ فَهُمْ هُوَ وَأَضْرَابُهُ مِنْ نُصُوصِ الْقُرْآنِ وَالسُّنْنَةِ ، فَاتَّكَلُوا عَلَيْهِ كَاتِكَالِ بَعْضِهِمْ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : وَلَسَوْفَ يُعْظِلُكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى [سُورَةُ الصُّحَى : ٥٥] .

قَالَ وَهُوَ لَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ فِي الْتَّارِيْخِ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ ، وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْجَهَلِ ، وَأَبَيْنِ الْكَذِبِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يَرْضَى بِمَا يَرْضَى بِهِ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْضِيَهُ تَعْذِيبُ الظُّلْمَةِ وَالْقُسْقَةِ وَالْخَوَنَةِ وَالْمُصْرِرِينَ عَلَى الْكُبَائِرِ ، فَحَاجَنَا رَسُولُهُ أَنْ يَرْضَى بِمَا لَا يَرْضَى بِهِ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

وَكَاتِكَالِ بَعْضِهِمْ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا [سُورَةُ الزُّمْرِ : ٥٣]

وَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَقْبَحِ الْجَهَلِ ، فَإِنَّ الشَّرْكَ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، فَإِنَّهُ رَأْسُ الذُّنُوبِ وَأَسَاسُهَا ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي حَقِّ التَّائِبِينَ ، فَإِنَّهُ يَعْفُرُ ذَنْبَ كُلِّ تَائِبٍ مِنْ أَيِّ ذَنْبٍ كَانَ ، وَلَوْ كَانَتِ الْآيَةُ فِي حَقِّ غَيْرِ التَّائِبِينَ لَبَطَّلَتْ نُصُوصُ الْوَعِيدِ كُلُّهَا .

العمل الصالح والعمل الخبيث

وَيُفْسِحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ، قَالَ : وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ ، حَسَنُ الشَّيْبِ ، طَيْبُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسْرُوكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ فَوْجَهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، فَيَقُولُ : رَبُّ أَقِيمِ السَّاعَةِ رَبُّ أَقِيمِ السَّاعَةِ ، حَتَّى أُرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي

وَيُضَيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ ، حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِحُ الْوَجْهِ قَبِحُ الشَّيْبِ مُنْتِنُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسْوُوكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَوْجَهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَيْثِ ، فَيَقُولُ : رَبُّ لَا تُقِيمِ السَّاعَةَ .

من اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم

وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا عَنْهُ ، قَالَ : يَبْيَنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ بَصَرَ بِجَمَاعَةٍ ، فَقَالَ : عَلَامُ اجْتَمَعَ هُؤُلَاءِ ؟ قِيلَ : عَلَى قَبْرٍ يَحْفَرُونَهُ ، فَفَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَبَدَرَ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا ، حَتَّى اتَّهَى إِلَى الْقَبْرِ ، فَجَنَّا عَلَى رُكْبَتِيهِ ، فَاسْتُبْشِلَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ ، فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الشَّرَى مِنْ دُمُوعِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ : أَيْ إِخْرَانِي ، لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا .

وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعَ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطْتَ السَّمَاءَ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَبِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعَ إِلَى وَعْلَيْهِ مَلَكُ سَاجِدٌ ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ، لَضَحِكُكُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكْكُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَذْتُمْ بِالسَّاءِ عَلَى الْفَرْشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ أَبُو ذَرٌ : وَاللَّهِ لَوْدَدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُضْدَدُ .

[ص: ٣٢] وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذِ حِينَ تُوفِيَ ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وَسُوْيَ عَلَيْهِ ، سَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَبَّحَنَا طَوِيلًا ، ثُمَّ كَبَرَ ، فَكَبَرْنَا ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ سَبَّحْتَ ، ثُمَّ كَبَرْتَ ؟ فَقَالَ : لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ .

كما في مُسندِ أَحْمَدَ وَالشَّرْمَدِيِّ مِنْ حَدِيثِ الْمُسْوَرِدِ بْنِ شَهَادٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يُدْنِلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلَيَنْظُرْ بِمَا يَرْجِعُ ؟

وَفِيهِ أَيْضًا عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُوشِكُ أَنْ تَتَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْمُلْمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ ، كَمَا تَتَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَمِنَ قَلْلَةٌ بَنَا يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : أَتُنْهُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غَنَّاءُ كُفَّاءُ السَّيْلِ ، تُتَرَّعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِكُمْ عَدُوُّكُمْ ، وَيُجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنُ ، قَالُوا وَمَا الْوَهَنُ ؟ قَالَ : حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهَةُ الْمَوْتِ .

وَفِي المُسْنَدِ وَجَامِعِ التَّرْمِدِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكَتَةٌ سُودَاءُ ، فَإِذَا تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِّلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوْ قَلْبُهُ ، فَذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [سُورَةُ الْمُطْفَفِينَ]

وَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ ، أَوْ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ التَّرْمِدِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : إِذَا أَصْبَحَ الْعَبْدُ ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلُّهَا تُكَفِّرُ الْلِّسَانَ ، تَقُولُ : اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ ، فَإِذَا اسْتَقْمَتَ اسْتَقْمَنَا ، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجْجَنَا .
وَقَدْ كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يُحَاسِبُ أَهَلَّهُمْ نَفْسَهُ فِي قَوْلِهِ : يَوْمٌ حَارٌ ، وَيَوْمٌ بَارِدٌ .

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : مَا أَصَابَ عَبْدًا قَطُّ هُمْ وَلَا حَزَنٌ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ امْتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَا ضَرَبَ فِي حُكْمِكَ ، عَدْلٌ فِي قَضَاوَكَ ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمِّيَتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلِمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ : أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَيْعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجَلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَغَمَّهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجَّا .

أحوال الصحابة رضي الله عنهم

من تأمل أحوال الصحابة - رضي الله عنهم - وجد هم في غاية العمل مع غاية الخوف ، ونحن جمیعاً بين النصیر ، بل التغیر والامن ، فهذا الصدیق - رضي الله عنه - يقول : وددت أني شعرة في جب عبد مؤمن ، ذكره أحمد عنه .

وذكر عنه أيضاً أنه كان يمسك بسانه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد ، وكان يکي كثيراً ، ويقول : إنكم ، فإن لم تكنوا فبأنكم .

وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل .

وأى بطاير فقلبه ثم قال : ما صيد من صيد ، ولما قطعت شجرة من شجرة ، إلا بما ضيئت من التسبیح ، فلما احضر ، قال لعائشة : يا بنیة ، إني أصب من مال المسلمين هذه العبادة وهذه الحلاب وهذا العبد ، فسرعى به إلى ابن الخطاب ، وقال : والله لو ددت أني كنت هذه الشجرة توكل وتضد .
وقال قنادة : بلغني أن آبا بكر قال : ليستي خضراء تأكلني الدواب .

وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور إلى أن بلغ : إن عذاب ربك لواقع [سورة الطور : 77] فبكى وأشد بكاؤه حتى مرض وعادو .

[ص: ٤١] وقال لأبي وهو في الموت : ويحك ضع خدي على الأرض عساه أن يرحمي ، ثم قال : ويل أمي ، إن لم يغير لي (ثلاثاً) ، ثم قضى .
وكان يمر بالآية في رده بالليل فتحيفه ، فيبقى في البيت أياماً يعاد ، يحسنه مريضاً ، وكان في وجهه - رضي الله عنه - خطان أسودان من البكاء .

وقال عثمان بن عفان - رضي الله عنه - : لو طهرت قلوبنا لما شبعنا من كلام الله

وهذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وبكاؤه وخوفه ، وكان يشتدد خوفه من الشتتين : طول الامل ، واتباع الهوى ، قال : فاما طول الامل فينسي الآخرة ، واما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، ألا وإن الدنيا قد ولت مدببة ، والآخرة مقبلة ، ولكل واحدة بنون ، فكُونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولأ حساب ، وغدا حساب ولا عمل .

وَهَذَا أَبُو الْرَّدَاءُ كَانَ يَقُولُ : إِنَّ أَشَدَّ مَا أَحَافُ عَلَى نَفْسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لِي : يَا أَبَا الدَّرَاءِ ، قَدْ عَلِمْتَ ، فَكَيْفَ عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ ؟ وَكَانَ يَقُولُ : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَنْتُمْ لَاقُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ لَمَا أَكْتُمْ طَعَامًا عَلَى شَهْوَةِ ، وَلَا شَرِيتُمْ شَرًا بَأْبَا عَلَى شَهْوَةِ ، وَلَا دَخَلْتُمْ بَيْتًا تَسْتَطُلُونَ فِيهِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّدُعَاتِ تَضْرِبُونَ صُدُورَكُمْ ، وَتَبْكُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَوْدِدْتُ أَنِي شَجَرَةٌ تُعَصَدُ ثُمَّ تُؤْكَلُ .

وَقَرَأَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ لَيْلَةً سُورَةَ الْجَاثِيَّةِ ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ أَمْ حَسَبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَجْعَلُهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ [سُورَةُ الْجَاثِيَّةِ : ٢١] جَعَلَ يُرَدِّدُهَا وَيَبْكِي حَتَّى أَصْبَحَ .

وَذَكَرَ أَبْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ عَلَيْهِ يَا أَبَيِ النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَقْعُدُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ ، وَلَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ ، مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ ، وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى ، عُلَمَاؤُهُمْ شُرُّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ ، مِنْهُمْ خَرَجَتِ الْفِتْنَةُ وَفِيهِمْ تَعْوِذُ .

من اقوال العارفين بالله

وَيَقُولُ الْآخَرُ : لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَلُوْنَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ .
وَيَقُولُ الْآخَرُ : إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : إِنِّي لَأَعْصِي اللَّهَ فَأَغْرِفُ ذَلِكَ فِي خُلُقِ امْرَأَتِي وَدَائِبِي .

قِيلَ : الصَّبَرُ عَلَى غَضْبِ الْبَصَرِ أَيْسَرُ مِنَ الصَّبَرِ عَلَى أَلَمِ مَا بَعْدَهُ .

الشيطان ذئب الإنسان

وفي الحديث : الشيطان ذئب الإنسان .
وكما أن الشاة التي لا حافظ لها وهي بين الذئاب سريعة العطب ، فكذا العبد إذا لم يكن عليه حافظ من الله فهو ذئب مفترسه ولا بد ، وإنما يكون عليه حافظ من الله بالتلتوى ، فهي وقایة وجنة ، حصينة بينه وبين ذئبه ، كما هي وقایة بيته وبين عقوبة الدنيا والآخرة ، وكلما كانت الشاة أقرب من الراعي كانت أسلم من الذئب ، وكلما بعذت عن الراعي كانت أقرب إلى الهلاك ، فأسلم ما تكون الشاة إذا قربت من الراعي ، وإنما يأخذ الذئب القاصية من الغنم ، وهي بعد من الراعي .
وأصل هذا كله : أن القلب كلما كان أبعد من الله كانت الآفات إليه أسرع ، وكلما قرب من الله بعذت عنها الآفات .
والبعد من الله مراتب ، بعضها أشد من بعض ، فالغفلة تبعد القلب عن الله ، وبعد المعصية أعظم من بعد الغفلة ، وبعد البدعة أعظم من بعد المعصية ، وبعد التفاق والشرك أعظم من ذلك كله .

من كلام المولى عز وجل

ويُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ هَذَا الْخُطَابَ نَوْعٌ مِنَ الْعَنَابِ لَطِيفٌ عَجِيبٌ وَهُوَ أَنِّي عَادَيْتُ إِبْلِيسَ إِذْ لَمْ يَسْجُدْ لِأَيِّكُمْ آدَمَ مَعَ مَلَائِكَتِي فَكَانَتْ مُعَادَاتُهُ لِأَجْلَكُمْ ، ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ هَذِهِ الْمُعَاوَدَةِ أَنْ عَقَدْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ عَقْدَ الْمُصَالَحةِ

من كلام إبليس لجنوده

وَاسْتَعِنُوا يَا بَنِي بَجْنَدِينَ عَظِيمَيْنِ لَنْ تُغَلِّبُوا مَعَهُمَا :
أَحَدُهُمَا : جُنْدُ الْغَفْلَةِ ، فَأَغْفَلُوا قُلُوبَ بَنِي آدَمَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَالدَّارِ الْآخِرَةِ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، فَلَيْسَ كُمْ شَيْءٌ أَبْلَغَ فِي تَحْصِيلِ غَرَضِكُمْ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا غَفَلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى تَمَكَّنْتُمْ مِنْهُ وَمِنْ إِغْوَاهِهِ .
الثَّانِي : جُنْدُ الشَّهَوَاتِ ، فَرَيَّنُوهَا فِي قُلُوبِهِمْ ، وَحَسَّنُوهَا فِي أَعْيُنِهِمْ ، وَصُوْلُوا عَلَيْهِمْ بِهَذَيْنِ الْعَسْكَرَيْنِ ، فَلَيْسَ لَكُمْ فِي بَنِي آدَمَ أَبْلَغُ مِنْهُمَا ، وَاسْتَعِنُوا عَلَى الْغَفْلَةِ بِالشَّهَوَاتِ ، وَعَلَى الشَّهَوَاتِ بِالْغَفْلَةِ .

وَادْعُوهُ إِلَى الشَّهْوَةِ مِنْ بَابِ الْغَضَبِ ، وَإِلَى الْغَضَبِ مِنْ طَرِيقِ الشَّهْوَةِ .

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ فِي بَنِي آدَمَ سِلَاحٌ أَبْلَغُ مِنْ هَذِينَ السَّلَاحِينَ ، وَإِنَّمَا أَخْرَجْتُ أَبْوَيْهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ بِالشَّهْوَةِ ، وَإِنَّمَا أَقْبَلَتُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ أَوْلَادِهِمْ بِالْغَضَبِ ، فَبِهِ قَطَّعْتُ أَرْحَامَهُمْ ، وَسَفَكْتُ دِمَائِهِمْ ، وَبِهِ قُتِلَ أَحَدُ أَبْنَى آدَمَ أَخَاهُ

مدخل المعاشي

فصل: مدخل المعاشي (مدخل الخطوة)

وَأَمَّا الْخُطُوطُ : فَحَفِظُهَا بَأْنَ لَا يَقْلِلُ قَدْمَهُ إِلَى فِيمَا يَرْجُو نَوَابَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي خُطَاطِهِ مَزِيدٌ ثَوَابٌ ، فَالْقَعُودُ عَنْهَا خَيْرٌ لَهُ ، وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنْ كُلِّ مُبَاحٍ يَخْطُو إِلَيْهِ قُرْبَةً يَنْوِيهَا لِلَّهِ ، فَتَقْعُدُ خُطَاطُهُ قُرْبَةً .

[ص: ١٦٢] وَلَمَّا كَانَتِ الْعَشْرَةُ عَشْرَتَيْنِ : عَشْرَةُ الرِّجْلِ وَعَشْرَةُ السَّلَانِ ، جَاءَتْ إِحْدَاهُمَا قَرِبَةَ الْأُخْرَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا وَإِذَا خَاطَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا [سُورَةُ الْفُرْقَانِ : ٦٣] .

فَوَصَفَهُمْ بِالاسْتِقَامَةِ فِي لُفْظَاتِهِمْ وَخُطُوطِهِمْ

حقيقة التَّعْبُد

وَحَقِيقَةُ التَّعْبُدِ : الذُّلُّ وَالْخُضُوعُ لِلْمَحْبُوبِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : طَرِيقٌ مُعَبدٌ أَيْ مُذَلَّلٌ ، قَدْ ذَلَّ اللَّهُ الْأَقْدَامُ

، فَالْعَبْدُ هُوَ الَّذِي ذَلَّ لِهِ الْحُبُّ وَالْخُضُوعُ لِمَحْبُوبِهِ ، وَلِهَذَا كَانَتْ أَشْرَفُ أَحْوَالِ الْعَبْدِ وَمَقَامَاتِهِ فِي الْعُبُودِيَّةِ ، فَلَا مَنْزُلَ لَهُ أَشْرَفُ مِنْهَا .

المحبة والخلة

وَأَمَّا مَا يُطْهِنُ بَعْضُ الْغَالِطِينَ – أَنَّ الْمَحَبَّةَ أَكْمَلُ مِنَ الْخُلَّةِ ، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ ، وَمُحَمَّداً حَيْبُ اللَّهِ – فَمِنْ جَهْلِهِ ، فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ عَامَّةٌ ، وَالْخُلَّةُ خَاصَّةٌ ، وَالْخُلَّةُ نَهَايَةُ الْمَحَبَّةِ ، وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَنَهَى أَنْ يَكُونَ لَهُ خَلِيلٌ غَيْرُ رَبِّهِ مَعَ اخْبَارِهِ بِحُبِّهِ لِعَائِشَةَ وَلَأَيْبِهَا وَلِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَغَيْرِهِمْ .

وَأَيْضًا فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ : يُحِبُّ التَّوَايِنَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ٢٢٢] .

وَيُحِبُّ الصَّابِرِينَ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : ١٤٦] .

وَيُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : ١٤٨] .

وَيُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ : ٤٢] .

أعظم نعيم الآخرة

إِذَا عُرِفَ هَذَا فَأَعْظَمُ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَلَذَاتِهَا : هُوَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ جَلْ جَلَّهُ ، وَسَمَاعُ كَلَامِهِ مِنْهُ ، وَالْقُرْبُ مِنْهُ ، كَمَا ثَبَّتَ فِي الصَّحِّيفَةِ حَدِيثُ الرُّؤْيَا : فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : إِنَّهُ إِذَا تَجَلَّ لَهُمْ وَرَأَوْهُ ؛ نَسُوا مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ .

وَفِي كِتَابِ

السُّنْنَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مَرْفُوعًا : كَانَ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَسْمَعُوا الْقُرْآنَ ، إِذَا سَمِعُوهُ مِنَ الرَّحْمَنِ فَكَانُوكُمْ لَمْ يَسْمَعُوا قَبْلَ ذَلِكَ .

فراغ القلب

فِإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ ، ذَوْقَهُ ، وَوَجْدَهُ ، وَطَرَبَهُ ، وَتَشَوُّقَهُ إِلَى سَمَاعِ الْآيَاتِ دُونَ سَمَاعِ الْآيَاتِ ،
وَسَمَاعِ الْأَلْحَانِ دُونَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ ، كَمَا قِيلَ :
تُقْرَأُ عَلَيْكَ الْخَتْمَةُ وَأَئْتَ جَامِدًا كَالْحَجَرِ ، وَبَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ يُنْشَدُ تَمِيلُ كَالْسَّكْرَانِ .
فَهَذَا مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ عَلَى فَرَاغِ قَلْبِهِ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ ، وَتَعْلُقِهِ بِمَحَبَّةِ سَمَاعِ الشَّيْطَانِ ، وَالْمَغْرُورُ يَعْتَقِدُ
أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ .

الشافعي - في الحديث عن المعاصي

ذات مرة شعر الأمام الشافعي بسوء حفظه للقرآن فذهب إلى شيخه الإمام وكيع يطلب النصيحة وعندما خرج لشخص رد الإمام وكيع في هذين البيتين:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعَ سُوءَ حِفْظِي *** فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَقَالَ أَعْلَمُ بِأَنَّ الْعِلْمَ فَضْلٌ *** وَفَضْلُ اللَّهِ لَا يُؤْتَاهُ عَاصِي